فتتهادى على مهل حذرة الخطا تنشد الهداية والأمان ، فيتلقاها بفيض من إيماءاته وتلويحاته ، يمهد لها سبيل الدعة والاستجمام ، ثم تزول عنه بعد حين ، وهو يشيعها بمثل ما استقبلها به من حفاوة وتعهد وتوجيه ، دون أن يتاح له يوماحظ الظفر بإحداها ينعم على ظهرها بساعة أنس واستمتاع .

ومنذ فجر شبابه ونفسه تنازعه أن يتحدى الأفق العنيد ، ذلك الأفق الذى يرتد عنه بصره وهو حسير ، مقتحماً خطه الدقيق فى جسارة واجتراء ، فينفذ إلى ما وراءه يستشف فى تأملات الأحلام ما غاب عنه من مباهج الدنيا وأسرار الوجود ، فينهل منها مايطمح إلى مشاهدته من عوالم ومرئيات ، كأنما ينهل شهداً معسول المذاق .

تخطى الرجل سنيه طورا بعد طور ، يوثق عزمه على رحيل .

وتمثلت الأعوام العشرون كأنها فنان قضى تلك الحقبة المديدة فى صومعة الزمن ، مقبلا على إزميله ومنحتـه ، يصوغ من نفس « عزب أفندى » كونا عريضاً توشيه الأزاهر والرياحين ، وتتجلى فيه عرائس حسان تناجيه فى يقظة ومنام ، وتناشده تحقيق الأحـلام . ومرعان ماتنفذ بصيرته تنقل قدميه بين المدائن ، وتجتاز به هضاباً وأطواداً يصنفها خياله ، ويشكلها هواه .